

شرح أصول الكافي

[221] الذي يورث الخوف والخشية فإننا نرى كثيرا من أهل العلوم الدينية وغيرها لا يخشون من الله ويفتنون بحب الدنيا والإستكثار منها وصحبة الامراء وسلاطين الجور للجاه والمال ويميلون معهم حيث مالوا وينالون الدنيا على أي وجه اتفق ويتبعون اهداء النفس والشيطان فنقول المراد بهذا العالم العالم الرباني وهو الذي علم الذي علم عظمة الله وجلاله وعزه وقهره لاعلى وجه الإعتقاد فقط بل على وجه يحيط نور العلم ظاهر القلب وباطنه بحيث يمنعه من التوجد إلى الدنيا وما فيها فضلا عن الوسائط إليها ويزجره عن متابعة النفس الامارة في هواها ورداها فإن هذا العلم هو الذي يورث الخشية وثمرته التقوى والورع وسائر الاخلاق النفسانية والعمل بعلم كتاب الله وسنة رسوله، والإعراض عن الدنيا وأهلها ويرشد إلى ما ذكر ما روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال " أنا أعرّفكم بالله وأشدكم له خشية " فإنه كالمفسر للعلم والعالم الخاشي والمخصص لهما (1) الطوسي في أوصاف الأشراف أن الخوف والخشية وان كانا بمعنى واحد في اللغة إلا أن بينهما فرقا بين أرباب القلوب وهو أن الخوف تألم النفس من المكروه المنتظر والعقاب المتوقع بسبب احتمال فعل المنهيات وترك الطاعات. والخشية حالة نفسانية تنشأ من الشعور بعظمة الرب وهيئته وخوف الحجب عنه بسبب الوقوف على نقصانه وتقصيره في أدائه حق العبودية ورعاية الادب فهي خوف خاص وإليه يرشد قوله تعالى * (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب " والرغبة قريب من الخشية. أقول ولعل المقصود من الخشية هنا المعنى اللغوي بدليل الإستشهاد بالاية * (فلا تخشوا الناس واخشون " دل على أن الخشية وهي شدة الخوف عبادة لأن الله تعالى أمر بها كالاية السابقة إلا أن الامر فيها وقع ضمنا، ثم من خشى الله يخشاه الناس فكنا الله من خشيتهم لما مر * (ومن يتق الله يجعل له مخرجا " التقوى على مراتب الاولى التبري عن الكفر والشك وهي تحصل بالشهادتين، وثانيها التجنب عما يوثم، وثالثها التنزه عما يشغل القلب عن الحق وبناء الكل على الخوف من العقوبة والبعد من الحق، ولعل المراد هنا إحدى الآخرين مع احتمال الاولى بعيدا أي ومن يتق الله خوفا منه يجعل له مخرجا من شدائد الدنيا والاخرة كما نقل عن ابن عباس، أو من ضيق المعاش كما يشعر به قوله تعالى * (ويرزقه من حيث لا يحتسب " وكان السر في الأول أن شدائد الدارين من الحرص على الدنيا واقتراف الذنوب والغفلة عن الحق والمتقي منزله عن جميع ذلك وفي الثاني أن فيضه تعالى وجوده عام لا يخل فيه وإنما المانع من قبول فيضه هو بعد العبد عنه وعدم إستعداده

أي هذا الحديث مفسر للعلم والعالم ومخصص لهما بالعلم الموجب للخشية والعالم الخاشي.

(ش) (*)
